بذلك على انه تعالى قادر على ان يعطيه عليه السلام ذلك الذي عيروه بفقده وما هو خير منه بكثير
ولكنه تعالى يعطي عباده على حسب المصالح وعلى وفق المشية ولا اعتراض لاحد عليه في شيء من افعاله
فيفتح على واحد ابواب المعارف والعلوم ويسد عليه ابواب الدنيا وفي حق الآخر بالعكس من ذلك
عن الضحاك قال لما عيّر المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة حزن عليه السلام لذلك فنزل جبريل
عليه السلام معزيا له وقال ان الله يقرئك السلام ويقول وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون
الطعام ويمشون في الاسواق الخ فبينا جبرئيل والنبي عليهما الصلوة والسلام يتحدثان اذ فتح باب
من ابواب السماء لم يكن فتح قبل ذلك فقال جبرئيل عليه السلام ابشر يا محمد هذا رضوان خازن الجنة قد اتاك
بالرضى من ربك فسلّم عليه وقال ان ربك يخيرك بين ان تكون نبيا ملكا وبين ان تكون نبيا
عبدا ومعه سفط من نور يتلألأ ثم قال هذه مفاتيح خزائن الدنيا فاقبضها من غير ان ينقصك الله تعالى
شيئا مما ادخر لك في الآخرة جناح بعوضة فنظر النبي الى جبرئيل عليهما الصلوة والسلام كالمستشير
فاومى بيده ان تواضع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نبيا عبدا قال فكان عليه السلام لا يأكل
متكئا حتى فارق الدنيا وكان يقول آكل كما يأكل واجلس كما يجلس العبد وقرئ بالنصب على
انه جواب بالواو فانه معطوف على جعل وهو جواب ان شاء قال ابن جني هو كقولك ان تأتني آتك
واحسن اليك وهو غريب لان نصب المضارع المعطوف على جواب الشرط بالواو غير مذكور في كتب النحو
وانما المذكور فيها نصبه بعد الواو اذا كان قبلها احد الاشياء الستة الامر والنهي وغيرهما وقرأ
باقي القراء بجزم يجعل وادغام لام في لام لك عطفا على محل جعل لانه جواب الشرط يقال مال اجرم
اذا كان لا يعطى منه شيء والقصور جماعة القصر وهو المسكن الرفيع والوجه الثالث من وجوه الجواب
قوله تعالى بل كذبوا بالساعة والمعنى انهم كذبوك وعيروك بالفقر لانهم كذبوا بالساعة وظنوا ان
الكرامة انما هي بالمال فيكون كلمة بل لترك الاول والاخذ فيما هو اهم وكونه اهم بالنسبة الى الجوابين
الاولين انهما انما يفيدان ان ما ذكروه في القدح لنبوته لا يصلح قادحا لها وهذا الجواب يبين العلة
الداعية لهم الى انكار النبوة فان من كذب بالساعة لا يرجو ثوابا ولا عقابا فلا يتحمل كلفة النظر والفكر
في الدلايل الدالة على ما هو الحق في باب الاعتقاد والعمل فلذلك لا ينتفعون بما يورد عليهم من الدلايل
فقوله بل كذبوا بالساعة معطوف على قوله تبارك الذي والمصنف اشار الى هذا الوجه بقوله فقربت

كانه قيل هذا الذي اجبنا به عن شبهتهم [illegible] كذبوك

انظارهم

١٧

انظارهم الى الحطام الدنيوية والحطام والهشيم هو النبات اليابس المتكسر استعير لاسباب الدنياوية
لسرعة زوالها وقلة جدواها قوله او فلذلك كذبوك لا لما تمحلوا من المطاعن فيكون معطوفا على قوله
وقالوا مال هذا الرسول الآية قوله او فكيف يلتفتون الى هذا الجواب وهو قوله تعالى تبارك الذي ان شاء
جعل لك خيرا الى قوله ويجعل لك قصورا برفع يجعل على الاستيناف بوعد ما يكون له في الآخرة فيكون
معطوفا عليه والفرق بين هذا وبين الاحتمال الاول انه على الاول اضراب عنه الى جواب آخر اهم من
الاول وعلى هذا الاحتمال يكون المقصود بيان انهم لا يلتفتون الى هذا الجواب لعدم تصديقهم بالآخرة
قوله افلا يتعجب الخ فيكون معطوفا على جملة ما حكى عنهم مما يدل على تكذيبه عليه السلام والقدح في نبوته
فان المقصود من حكاية ذلك عنهم التعجب من جهلهم وسفاهتهم وانما كان تكذيبهم الساعة اعجب من تكذيبهم
اياه عليه السلام من حيث ان تكذيبهم الساعة تكذيب له تعالى وهو اعجب واغرب من تكذيبهم اياه عليه السلام
قوله فيكون صرفه باعتبار المكان يعني اذا كان اسما لجهنم لوجب منع صرفه للعلمية والتانيث الا
انه صرف تاويلا لجهنم بالمكان وقوله اذا رأتهم جملة شرطية في موضع النصب على انه صفة لقوله سعيرا
وكذا قوله واذا ألقوا منها مكانا ضيقا الخ قوله اذا كانت بمرأى منهم يعني ان السعير سواء كانت
بمعنى النار المتلهبة او جهنم ليست لها عين ورؤية ومع ذلك اسندت الرؤية اليها باعتبار كونها مجازا
عن المقابلة وكونها بمرأى الناظر فان كون الشيء بمقابلة الناظر ومرآه لازم للرؤية اذ لا يمكن الرؤية
بدون ذلك فاطلق الملزوم وهو الرؤية واريد اللازم وهو كون الشيء بحيث يرى والانتقال من الملزوم
الى اللازم يكون مجازا لا كناية قال عليه السلام المؤمن والكافر لا تتراءى ناراهما اي لا تتقابل ولا تكون
احديهما بمرأى من الاخرى والمقصود النهي عن تقاربهما ويقال دور فلان متناظرة اي متقابلة وهذا
التوجيه غير لازم على مذهب اصحابنا لان البنية ليست شرطا في الحيوة عندهم على ما جاز ان يخلق
الله تعالى فيها الحيوة والعقل والرؤية والنطق ويؤيده ما روي عنه عليه السلام انه قال من كذب علي
متعمدا فليتبوأ بين عيني جهنم مقعده قالوا هل لها من عينين قال نعم الم تسمع قول الله تعالى اذا
رأتهم من مكان بعيد قيل اي من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة بخلاف المعتزلة فانهم شرطوا
البنية في الحيوة فلا يجوز كون السعير رائية عندهم فقوله تعالى في صفة السعير اذا رأتهم من مكان بعيد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا يمكن اجراؤه على بل يجب ذلك عندنا اذ لا امتناع في ان يكون النار حية

كانه قيل بل ما ذكروه من المطاعن ليس بشيء منها فنقول المحقق اباك وسبب تكذيبهم ليس الا تكذيبهم بالساعة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)